لقد أباحك غشاً فى معاملتى مَن كنت منه بغير الصدق تنتفعُ

لم يعشق المتنبي لأن العشق مظهر من المظاهر الباطلة فضلا عن أن لحاظ الغانيات لم تنفذ الى قلبه :

وما العشقُ الا غرة وطماعة يعرِّض قلب نفسه فيصابُ

وغير فؤادى للغوانى رمية وغير بنانى للزجاج ركابُ

يعاشر أبو الطيب الكرام وينبذ اللئام الناقصين حتى اذا وجد من أخيه عوجاً أو نقصاً يأنف منه :

وآنفُ من أخى لأبى وأمى اذا ما لم أجده من الكرام

يصون العرض ويهون عليه كل شىء فى سبيل المحافظة على عرضه من أن يتلطخ بوزرٍ أو اثمٍ :

يهون علينا أن تصاب جسومُنا وتسلم أعراضٌ لنا وعقولُ

فيما سبق ظهر لك أن المتنبي ذو أخلاق عالية وخلال حسنة يندر أن تجتمع فى انسان كاجتماعها بشخص أبى الطيب فهو — كما بدا لك عظيماً فى شخصيته — عظيمٌ فى شعره ، عظيم فى أدبه .

حمص : نبيه عيسى العاقل

مصطفى نجيب

فى مستهلّ أكتوبر الآتى تحين ذكرى مرور ثلاث وثلاثين سنة على وفاة الكاتب الشاعر الألمعى مصطفى نجيب بك زميل المرحومين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك ومن أقطاب الوطنية الذين اعتمد على اخلاصهم وتفانيهم الحزبُ الوطنى

فى كفاحه الأول ، وزميل المرحومين اسماعيل صبرى باشا واحمد شوقى بك فى المودة الأدبية وفى الروح الشعرية . توفى الفقيد الكبير فى أول أكتوبر سنة ١٩٠٢ ودفن بمدينة الاسكندرية ، وقد مرّت عشرات السنين ولا يزال أدبه غضاً ناضراً ، وحسبك أن تقرأ كتابيه (حماة الاسلام) و (أحلام الاحلام) وتراجع مقالاته الوطنية والأدبية الرائعة فى « اللواء » وكأنك أمام كاتب من أفصح كتاب العصر العباسى ، وحسبك أن تقرأ شِعرَهُ المنبثّ فى كتب الأدب لترى الشاعرية البليغة الحيّة على مَرّ الزمان .

انّ هذه الذكرى الغالية جديرة بحفاوة أهل الوطنية وأهل الأدب عامةً وأهل الشعر خاصة ، جديرةٌ بأن تسجل دراساتها فى كتاب أدبى قيم يُرجع اليه . وانى أقترح منذ الآن على شاعر العربية الجليل أستاذنا خليل مطران أن يتولى برعايته هذه الذكرى فقد كان من أخلص محبي الفقيد الكبير كما تشهد بذلك كتابته الرائعة عنه .

وليس فى إمكانى هنا أن أقوم بدراسة تحليلية لشعر مصطفى نجيب ـ وهو ما يعنى هذه المجلة الشعرية ـ بل حسبى فى هذه المناسبة أولاً أن أنبه الى واجب تلك الذكرى المجيدة ، وثانياً أن أشير الى نماذج من شعره الرائع المتين الاسلوب البرّاق الخاطر .

قال من رثائه لصديقه المطرب الشهير عبده الحمولى :

كدَّرْتَ فى عينى السرورَ فصار لى ... فى كلِّ مَشهدِ بهجةٍ إيلامُ
فاعجبْ لحسنٍ فى مقام مَسَرَّةٍ ... واعجبْ لحربٍ والزَّمانُ سلامُ
أيقنتُ أنَّ الدهرَ بعدكَ قد عفا ... والدارَ خلوٌ والزمانَ عقامُ
ولقد أسنَّتْ مِصْرُ بعدَ شبابها ... ونتاجِها وأصابَها الاعقامُ
مِنى على تلك الليالى لوعةٌ ... فسلوُّهنَّ على المحبِّ حرامُ
مَنْ كان يُدْرِكُ أنسَها ونعيمَها ... وبَكى لها أسفاً فليس يُلامُ

***

وقال فى إنكار للتفرنج الأعمى الذى كان متفشياً فى ذلك الوقت بمصر :

أغرَّكَ ما تلقاه منْ حُسْنِ مَلْبَسٍ ... ومِنْ شاهقاتِ الدُّور نحو السما تعلو

ومنْ عرباتٍ غادياتٍ روائحٍ ومِنْ كهرباءٍ لا يُصادمُها الليلُ ؟
مَناظرُ أوهامٍ لَعمركَ كلُّها وماذا يفيدُ الزّجُّ غادرَه النصلُ
مَظاهرُ تقليدٍ أقيمتْ بلا نُهىً إذا هُدِمَتْ يوماً تبوّأها الضّلُّ
بنَتْها يدُ الأوْهامِ حتى إذا هفَتْ بها الزّيحُ أهوتْها فليس لها أصلُ
تَركنا سجايانا وهِمْنا بغيرنا غروراً ، ففي أعناقِ أكثرنا غلُّ
جهلنا نواميسَ الحياةِ ، وانّها لأوّلُ ما يدعو لها العقلُ والنقلُ
تبصَّرْ ! فليس العيْشُ الاّ معامعٌ يفوزُ بها الأقوَى ويكبو بها النّزْلُ(١)
قضَتْ سُنّةُ الدنيا بهذا فلا تكنْ أسيرَ أمانٍ ، لا شعورٌ ولا حَوْلُ

* * *

وقال من قصيدةٍ في وصف « الكرنك » :

أهاجَ طِيبةَ بالى رَبعُكِ البالى واستوقفَ الفكرَ في حالٍ وفي حالِ
لله ما أبقتْ الأيامُ مِنْ أثرٍ شادتْه أيدى العُلا في عصر إقبالِ
يا رَبْعُ هل تُحْسنُ الفتوَى فتُخبرنا عمّا تعاقبَ في صَفوٍ وأهوالِ
أرى الملوكَ رُسُوماً فيكَ ساهمةً كأنها لم تُجرِّرْ فضلَ اذيالِ
قد غيرَ الدّهرُ منها كلَّ معلَمةٍ وابتزّ منها عزيزَ الملبس الغالى
إنْ يَبلُها الدّهرُ فالآثارُ مابرحتْ تتلو لنا سِرَّ أقوالٍ وأفعالِ
قد شادَتْ الناسُ ماشادَتْهُ من حَجرٍ وشادَ ما شادَهُ مِنهُمْ بأجْيالِ

* * *

وقال من قصيدة طويلة في رثاء الخديو اسماعيل :

أحُزناً ومِنْ عاداتِ طلعتِكَ البِشْرُ وقبراً وكانت تحتَ اخمصكَ الزُّهْرُ ؟!
وموتاً وقد أحيا بك الدهرُ ذكره بكلِّ جميلٍ ليس يخلقه الذكرُ ؟!

---

(١) النزل : القاعدون .

طلعتَ علينا طلعةً إثرَ غيبةٍ ... وزُرتَ ولكنْ بعد ما قُضيَ الأمرُ
فلا النَّفسُ نالت حظَّها مِنْ حَبيبها ... ولا شُفيتْ نفسٌ خليلتُها (مِصرُ)
فبؤساً لأيامٍ أساءتْ صنيعَها ! ... أكان لها فى طمسِ عينِ العلا نذرُ ؟!
وأودتْ باسماعيل : مَنْ كان فى الورى ... يُفَكُّ به عانٍ ويُنعَشُ مضطرُ
بمنتخَبٍ مِنْ ذروة المُلْكِ كلما ... دَجَى الخطبُ لم يكذبْ لعزمتهِ فجرُ
وكنّا زجرنا طائرَ النَّعْى والأسَى ... وحُمَّ القضا فيهِ فلم ينفع الزجرُ
قضَى ذاكرَ الأوطانِ فى دارِ غُربةٍ ... ولا غروَ أن يشتاقَ للوطنِ الحُرُّ
فأولِيَ فى فُلكٍ حَوَى المجدَ والنَّدى ... وأُودع نفساً حشو أبرادها الفخرُ
فسار يثنُّ الفلكُ لمَّا ثوى به ... وصَكَّ مُحَيَّاه بأمواجهِ البحرُ
ومِنْ عجبٍ أن قد غدا سائراً به ... ومِن فوقهِ بحرٌ ومِنْ تحتهِ بحرُ !

ومنها :

عَلاَ فوق أعناقٍ غَدَتْ مِن جلالهِ ... يُظنُّ بها لولا خُشوعُ الرَّدى كِبرُ
عجبتُ لها أنَّى استقلت بحملهِ ... وأثقلها مِنْ قَبْلِ نائلهِ الغَمْرُ ؟!
أرى عارضاً للمجدِ أقلعَ مُزْنُهُ ... ومَنهلَ جودٍ غاض وانقطعَ الخيرُ
فلم أدرِ مُذْ أبصرتُ مَشْهدَ رزئهِ ... أيومُ فراقٍ أم لقاءٍ هو الدَّهْرُ ؟!
رَمَتْهُ عيونُ الناسِ حتى حسبتُهُ ... سترمقُه الافلاكُ والشمسُ والبدرُ
وقد أسمعَ الناعون فيه صراخَهم ... ولكنَّ سمع المجد قد عاقه أمرُ
طواهُ الرَّدَى طيَّ الرداءِ ولم تزل ... فواضلُه العليا يضوعُ لها نَشْرُ

وكلها من هذا النسق العالى ، وقد عَرضَ فيها مسهباً مآثرَ اسماعيل الجليلة ووفاه حقه من التاريخ الصحيح .

ومن مراثيه الرائعة رثاء عبدالله فكرى باشا وجمال الدين الافغانى ورثاء عبده الحمولى الذى أشرتُ اليه فى مستهلِّ هذا المقال . وأما رثاؤه لنجيب الحداد فقد

دوّنه بخطه هكذا ، وقد عُثر عليه فيما بعد بين ما بقى من أوراقه الخاصة التى سلمت من النهب والضياع [1] . قال الفقيد الكريم :

« لمّا صدر البيانُ والضياء رأينا فيهما شعراً نفيساً باسم نجيب الحداد واشتقنا لأن نراه ونلقاه ، فقصدنا الاستاذ الشيخ ابراهيم اليازجى صاحب الجريدتين وسألناه عليه فاذا به فى شدة المرض ، ثم ما لبثنا لحظة الاّ وتلغراف نَعْيه واردٌ على حضرة الاستاذ ونحن فى الجلسة فأثر فينا ذلك الحال جداً ودعت الحالة لأن نرثيه بهذه الأبيات :

سَلبتْكَ داعيةُ البعادِ ... منْ قبلِ انسى بالودادِ
أسْعَى لودّكَ ، والردَى ... يسعى على غيرِ المُرادِ
أنّى لانسانٍ يُلا ... حِقُ غَلوةَ الدهرِ الجوادِ
حَرْبٌ لأخيارِ الأنا ... مِ فينتقى خيرَ الجيادِ
نظرتكَ نفسى فى ريا ... ضٍ مِنْ لطائفِكَ العِتادِ
فرأيتُ بين الشّعرِ رُو ... حاً تستفزُّ هَوَى الفؤادِ
وقصائدٍ تَرْوِى بلُطْـ ... ـفٍ رويِّها المُهَجَ الصَّوَادى
أودَى بك الدهرُ الخؤو ... نُ وعُطِّلَتْ تلك الأيادى
قَصَّافُ أفنانِ العُلا ... قَطّاعُ أوصالِ العبادِ
أسفى عليكَ ، وانّه ... أسفٌ الى يومِ التنادى
أسفى على نارِ الذّكا ... ءِ تَؤولُ منكَ الى رمادِ
ولماءِ ذاك الوجهِ غا ... ضَ ، وكلُّ شىءٍ للنفادِ
قد كنتُ أرجو أن أرى ... بكَ جحظةَ وابنَ العمادِ
فأراكَ قد ساويتَ مَنْ ... فى الترب مِن إدمٍ وعادِ
يا قُربَ ما كان اللقا ... ءُ وطولَ عَهْدِى بالبعادِ !

(١) انى مدين بهذا البيان لصديقى الأديب الفنان سليمان نجيب نجل الفقيد .

فعزاهُ آلِ نجيبَ للشَّجنِ المبرّحِ والسهادِ
قد طار بُلبلُ روضِكم أنّى الى الآدابِ شادى ؟
إنّ البراعةَ والبرا عةَ والبيانَ مع السَّدادِ
ولطائفَ الأشعارِ والـ أخبارِ تملأ كلَّ نادى
وأداةَ كُتّابِ البلا غةِ والطّروسِ مع المدادِ
حَزنتْ وقد لبستْ على الحدّادِ أثوابَ الحِدادِ »

وللفقيد فى مناجاة القمر نظماً ونثراً آيات ساحرة ، ولولا ضيق الفراغ لنقلت احدى مطوّلاته الشعرية فى ذلك ، وهذا مثالٌ منها مستلهماً القمر :

يا لوعةً لا تكادُ تُطفَى أُضحى بها دائماً وأُمسى
ومحنةً لا تكادُ تَخفَى فى حالَتَىْ وحْشتى وأنسى
ومأمَناً نِلتُ منه حَيْفا كأنّ نفسى عذابُ نفسى
أسعدَنى وهو لى شقائى أحرقنى وهو لى خليلْ
كقابِ قوسينِ فى الترائى وما إلى قُربهِ سبيلْ !

* * *

ناشدتُها قبلَ يوم بَيْنى فى آخر العهدِ بالتّدانى
بأن تَنى فى الغرام دَيْنى وتنظرَ البدرَ حيث كانْ
لتلتقى عينُها وعينى عليهِ وقتاً مِن الزّمانْ
فانْ حَبَا العهدَ بالوفاءْ وحققَ الظنَّ للخليلْ
كان اتصالاً مِنَ السّماءْ إذليس فى الأرضِ مِنْ وصولْ !

* * *

آهِ على فائتِ الزّمانِ والقلبُ بالقُرْب فى سُرورْ
ونحنُ فى الأمنِ والأمانى والدّهرُ فى كيدنا يَدورْ
إن غابَ عنّى وعن عيانى فانّ مَثواهُ فى الصدورْ

ما دارتْ العينُ فى الفضاءِ إلا تَرائيهِ فى المُثولْ
أشهدُه دونَ كلِّ رائى ما كلُّ مَنْ قد رأى يميلْ (١)

وللفقيد فى وفاة الملكة فكتوريا قصيدة لامية طويلة جمعت بين السياسة والوصف والتاريخ لحرب البوير . وله قصيدة بليغة فى أحد تحاريق النيل تُعدُّ من أجود شعره .

ومن شعره النثرى اللطيف الذائع تحيةُ القرن العشرين ، وأوصافُه الشائقةُ المنوَّعةُ فى شتى الأغراض الفنية ، وأعدُّ منه رسائله الاخوانية ، فجميعها فوَّاحةُ بعبقِ الشعرِ ، كما أنَّ له غيرَ قليلٍ من الأغانى المهذَّبة القديمة .

ولعلَّ فى مقدّمةِ الجديرين بانصاف ذكرى الفقيد الشاعرين الشهيرين أحمد محرم وابراهيم الدباغ ، فكلاهما عليمٌ بأدبه النفيس وجديرٌ بهذا الانصاف فى بلدٍ « كلُّ شىءٍ فيه يُنْسَى بعد حين » ؟

محمد عبد الغفور

الخلود

أموتُ وأحيا كلَّ يومٍ مُجدَّدَا فأينَ ضلالاتى ؟ وأينَ لىَ الهدَى ؟
لقد جئتُ مِنْ فجر الزمانِ كأننى خيوطٌ به تَبدا وتمضى على المدَى
ومَثَّل جسْمى فى النشوء نشوءه فتكوين جسمى رمزُ ما مَرَّ سرمدا
ملايينُ مِنْ حَىِّ الخلايا كيانُها كيانى، وأخرى إنْ تمتْ لم تمتْ سُدى

(١) يميل : يعشق